دور الجهاد في تربية الإنسان



الشيخ مرتضى مطهري

إن "الرسول الأكرم صلى ال عليه وآله وسلم والأئم "ة الأطهار عليهم السلام كانوا قادة مجاهدين في سبيل الى في كلا شق "ي الجهاد: جهاد الأعداء وجهاد النفس. ومن سنن ال في خلقه للإنسان، أن "ه جعل بلوغه للدرجات المعنوي "ة وتكامله مرهون ين باجتياز دورات تربوي "ة خاص "ة، كالزواج الذي يشج ع عليه الإسلام ويعتبره مقد "سا ً؛ وذلك لأن "الأثر التربوي "الذي يحق قه كل " من الرجل والمرأة من خلال الزواج لا يمكن تعويضه بالعبادة ومجاهدة النفس، وسيبقى هناك نقص في تكامل روحيهما لو ط "لا عازب ين. وكذا الجهاد، فهو من العوامل التي تساهم في تربية الإنسان، ولا يمكن لعامل آخر أن يحل " محل "ه. وكل " " من جهاد النفس وجهاد الأعداء له موقعه ولا يحل "الآخر مكانه، بل قد وضعهما الإسلام في صف " واحد، واعتبرهما من عوامل التربية الإسلامية.

وهنا يبرز سؤالٌ مهم ٌ هو: إن ّ الظروف الموضوعية التي يعيشها الفرد المسلم متباينة، وقد لا يقتضي بعضها جهاد أعداء ا□، فماذا سيكون موقفه حينها، خصوصا ً بعد أن عرفنا الأثر التربوي ّ المهم ّ للجهاد؟

يجيب الرسول الأكرم صلى ا□ عليه وآله وسلم بأن واجب الفرد المسلم هو أن يكون في قلبه عزم ُ صادق ُ وني ته مخلصة ُ على جهاد أعداء ا□، في أي وقت تتطلّب الظروف الموضوعي ّة ذلك. ومع توافر النيّة المخلصة والعزم الصادق لديه يصل إلى درجة المجاهدين حقا ً. وهذا يمكن استفادته من قوله صلى ا□ عليه وآله وسلم: "من لم يغز ُ ولم يحد ّ ِث نفسه بغزو، مات على شعبة من النفاق "(1).

والقرآن الكريم يقول: []لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلَيِي وَالسَّهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ اللهُ المُّرَرِ وَالْمُهُمُ اللّهُ الْمُهُمُ وَالْمُهُمُ اللّهُ الْمُهُمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْمُهُمَاهِمُ وَلَا عَلَمُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

ونلاحظ من الآية الكريمة أنّه تعالى لا يُدخل المتخلّفين ضمن حديثه عن القاعدين، فهم غير منظور إليهم هنا، وإنّما حديثه هنا عن القاعدين بعذر شرعي (هو وجود من بهم الكفاية من المجاهدين)، فيقول: إنّ هؤلاء المجاهدين هم أعلى درجة وفضلاً وأجراً من القاعدين بعذر شرعي، ولكن في الوقت نفسه يؤكّد النصّ أنّ هذا التفضيل لا يشمل أولي الضرر من القاعدين والمعذورين بسبب الأمراض المختلفة التي تعوقهم عن الجهاد. فلا ينفي القرآن الكريم أنّ لهؤلاء فضلاً، ومن الممكن أن يصلوا إلى درجة المجاهدين، بل وأن يسبقوا الآخرين في ذلك، لو كان في قلوبهم عزم ٌ صادق ٌ ونيّة ٌ حقيقيّة، بأن لو المجاهدين، بل وأن يسبقوا إلى الجهاد في سبيل ا الموالهم وأنفسهم.

قال رجل للإمام عليٌّ عليه السلام وهو في طريق عودته من صفّين(2): "يا أمير المؤمنين، إنَّ لي أخا ً

كم تمنيت أن يحضر معنا صفّين في معسكرك، فينال صحبتك". فماذا كان جواب الإمام عليّ عليه السلام ؟ لقد سأل عليه السلام الرجل عن نيّة أخيه ما هي، وماذا في قلبه، وعلام َ عزمه، هل كان لديه عذر منعه من الحضور أم لم يكن لديه عذر؟

ثم " يحد "د الإمام عليه السلام الأجوبة الدقيقة عن تلك الاحتمالات كل ها، فإذا لم يكن معذورا ولم يأت وفعدم مجيئه خير لنا من مجيئه (3)، وإن كان معذورا وقلبه معنا وعزمه أن يلحق بنا لو استطاع، فهو معنا، فأجاب الرجل: إن " كذلك يا أمير المؤمنين، فأجابه الإمام عليه السلام: "ليس أخوك وحده كان معنا، بل ورجال آخرون ما زالوا في أرحام أ م ها تهم، بل وفي أصلاب آبائهم ". فهذا حكم ثابت ، فكل شخص إذا و جد وكان في قلبه عزم مادق أن أن "ه لو أدرك الإمام علياً عليه السلام في صف "ين لنصره، فهو مع الإمام علي عليه السلام ويعتبر من أنصاره وجيشه.

* انتظار الفرج

ماذا يعني انتظار الظهور؟ وماذا يعني نصِّ "أفضل الأعمال انتظار الفرج"؟

يتوهيّم بعضٌ ويطنيّ أنّ "انتظار الفرح" وهو أفضل الأعمال يعني أن ننتظر طهور إمام العصر عجل التعالى فرجه الشريف مع جمع من خواصّ أصحابه وأنصاره، فيحاربون أعداء الإسلام، ويطهيّرون الأرض من دنسهم، ويقيمون العدل والأمن في البلاد، ويوفيّرون الرفاه والحربيّة بأكمل صورهما، بعد ذلك يقولون لنا: تفصلوا. بعضهم يتوهيّم أن "انتظار الفرح هو هذا، ويصفونه بأنّه أفضل الأعمال، ولكن "الانتظار الحقيقي للفرح، هو بانتظارنا طهور الإمام عجل ال تعالى فرجه الشريف للانخراط في جيشه والقتال تحت إمرته، حتىّى ولو استشهدنا في هذا القتال. الانتظار الحقيقي هو أن يكون أمل الإنسان كلّه، وكل أمانيه حقيّا أ هو الجهاد في سبيل ال، وليس الانتظار حتى يأتي الحجيّة عجل ال تعالى فرجه الشريف فتقول له: اذهب أنت وحدك فأنجز كل "المهام الشاقيّة، وعندما يحين وقت جني الثمار سنأتي نحن. هذا ومنطق أصحاب موسى الذين عندما وملوا إلى فلسطين، ورأوا فيها جندا أ متأهبين قالوا لموسى: وأناد هبّ أنت وربك وربّ أنت وربك فيقاتيلا إنني احن بعد أن نطمئن إلى أنه لم يبق خطر فيها. إن وربك موسى عليه السلام قد سألهم مستنكرا ": فما هو واجبكم إذا "؟ عليكم أنتم أيضا "أن ت تُخرجوا، من دياركم موسى الذي أخرجكم منها. أمّا أصحاب النبي "الأكرم صلى ال عليه وآله وسلم أمثال المقداد، فما كان الغاصب الذي أخرجكم منها. أمّا أصحاب النبي "الأكرم صلى ال عليه وآله وسلم أمثال المقداد، فما كان

قولهم كهذا، وإنّما قالوا: "لقد آمناً بك وصدقناك وشهدنا أن ّ ما جئت به هو الحق ّ، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول ا□ لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق ّ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلّف مناً رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدو ّنا غداءً"(4).

إذا ً، فالانتظار الحقيقي للفرج هو أن يترسّخ في قلوبنا عزم ُ صادق ُ ونيّة ُ حقيقيّة ُ وأمل ُ بأن نوفّق لأن نكون في جيش إمام العصر عجل ا□ تعالى فرجه الشريف فنشارك معه في إصلاح الدّنيا.

المصدر: مجلة بقية ا□